مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة 2020 ص ص 332-355

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

دور السويسريين في احتلال الجزائر من خلال مشاركتهم في جيش اللفيف الأجنبي 1830-1962 ورد فعل السلطات السويسرية

-دراسة في بعض وثائق الأرشيف الدبلوماسي السويسري-

The role of the Swiss in the occupation of Algeria through their participation in the foreign legion of 1830-1962 and the reaction of the Swiss authorities.

Study in certain documents of the Swiss diplomatic archives

د/ محمد قدور [1]

[1] -جامعة الجزائر2- الجزائر، kadourmohamed2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 24 مارس 2019 تاريخ القبول: 21 جانفي 2020

Abstract:

History has not recorded that Switzerland was a partner in the colonial movement, which was only rarely inhabited in the 19th century. Algeria is one of the rare cases where entire settlements have been built in the name of Swiss, as in eastern Algeria. We have a large number of archival documents that follow the activity of Swiss settlers in Algeria during the period of the beginning of the occupation: correspondence between the Swiss consul in France, then in Algeria and the Federal Council.

المؤلف المرسل: محمد قدور.

البريد الالكتروني: kadourmohamed2@gmail.com

Switzerland in Geneva, addressed to all conditions of Swiss aging in Algeria, where we tried to follow the regulation of these category conditions and activity in Algeria before the editorial revolution in this section.

Key words:

Switzerland; Swiss diplomatic archives; Foreign Legion; French occupation; Algerian liberation revolution

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة 2020 ص ص 332-355
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الملخص:

لم يسجل التاريخ أن سويسرا كانت شريكة في الحركة الاستعمارية، التي نادراً ما كانت مأهولة في القرن التاسع عشر. الجزائر هي واحدة من الحالات النادرة التي بنيت فيها مستوطنات بأكملها باسم سويسري، كما هو الحال في شرق الجزائر. لدينا عدد كبير من الوثائق الأرشيفية التي تتبع نشاط المستوطنين السويسريين في الجزائر خلال فترة الاحتلال: المراسلات بين القنصل السويسري في فرنسا، ثم في الجزائر والمجلس الاتحادي. سويسرا في جنيف، موجهة إلى جميع شروط الشيخوخة السويسرية في الجزائر، حيث حاولنا اتباع تنظيم هذه الشروط والفئة في الجزائر قبل الثورة التحريرية في هذا القسم.

الكلمات المفتاحية:

سويسرا؛ الأرشيف الدبلوماسي السويسري؛ اللفيف الأجنبي؛ الاحتلال الفرنسي؛ الثورة التحريرية.

مقدمة:

إن الحديث عن سويسرا وعلاقتها بفرنسا وموقف الحكومة الفيدرالية السويسرية من احتلال الجزائر سنة 1830، ثم الثورة التحريرية 1962/1954، يفرض علينا البحث في الخلفية التاريخية لهذه العلاقة وذلك بالعودة إلى ماضي التواجد السويسري في الجزائر مع دخول الحملة الفرنسية واحتلال الجزائر سنة 1830 سواء في شكل مجندين في الجيش او معمرين استغلوا القوانين والتسهيلات التي أقرتها الحكومة الفرنسية من أجل دخول المعمرين، فكيف كانت بدايات دخول السويسريين إلى الجزائر؟ وما هو عددهم ومستواهم المعيشي ؟و ما هي المناطق التي استوطنوها في البداية؟ وكيف كانت مساهمتهم في جيش اللفيف الأجنبي، وما هو موقف السلطات السويسرية من هذا اللفيف ؟

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد 01 السنة 2020 ص ص 332-355
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1- البدايات الأولى لدخول السويسريين إلى الجزائر بعد 1830:

لم يسجل التاريخ أن سويسرا كانت شريكة في الحركة الاستعمارية التي مست العالم خلال القرن ال 19إلا نادرا، وتعتبر الجزائر من بين هذه الحالات النادرة ،حيث تم تشييد مستوطنات كاملة باسم السويسريين كما حصل في الشرق الجزائري، ونحن في بحثنا هذا نحاول أن نتطرق لهذه الظاهرة من خلال بعض وثائق من الأرشيف الفيدرالي السويسري الذي يتناول فترة بدايات الاحتلال، حيث يوجد بين أيدينا عددا معتبرا من الوثائق الأرشيفية تتبع نشاط المستوطنين السويسريين في الجزائر في فترة بداية الاحتلال، عبارة عن مراسلات بين القنصل السويسري في فرنسا ثم في الجزائر والمجلس الفدرالي السويسري في جنيف، تطرقت كلها لأوضاع المعمرين السويسريين في الجزائر ،حاولنا من خلالها تتبع ظروف استيطان هذه الفئة ونشاطها في الجزائر قبل الثورة التحريرية في هذا الباب .

فحسب هذه الوثائق الأرشيفية فإن أولى بدايات وصول المعمرين السويسريين إلى الجزائر كانت بعد تمكن الجيش الفرنسي من احتلال المدن الجزائرية الكبرى والقضاء على أهم المقاومات الشعبية مثل مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق ،حيث تشير إحدى هذه الوثائق[1] المؤرخة في 20 ماي 1851 والتي بعث بها القنصل السويسري في مرسيليا إلى المجلس الفيدرالي السويسري ،إلى أن حوالي 132 رجل ،90 امرأة و222 طفل سويسري دخلوا الجزائر خلال هذه السنة .إلّا أن هناك بعض المؤرخين يُرجعون هذه الهجرة إلى أولى سنوات الاحتلال ،حيث يذكر المؤرخ والكاتب السويسري Damien Carron صاحب كتاب "**سويسرا وحرب التحرير الجزائرية 1962/1954**" أن

أوائل السويسريين الذين دخلوا الجزائر كانوا اثناء الغزو الفرنسي كجنود في جيش اللفيف الأجنبي، وبعد ذلك التحق بعض الفلاحين والمعوزين، قدموا من أفقر المناطق في سويسرا، ومع مطلع القرن العشرين أصبح منهم ذوي أملاك[2] ،خاصة الحرفيين كصناع الساعات والتجار والميكانيكيين ،كما كان هناك من فتحوا بنوك ودعموا بذلك الاقتصاد الفرنسي[3]، حيث تُشير وثيقة أرشيفية صادرة بتاريخ 14 فيفري 1853 بعث بها السفير الفرنسي في سويسرا إلى رئيس المجلس الفدرالي السيد نايف وليام[4] يطلب من خلالها معلومات حول بعض الشخصيات الارستقراطية قادمة من جنيف لتعيش في الجزائر، وكانت هذه الشخصيات قد طلبت من وزير الحرب الفرنسي أن تسمح لها بالاستفادة من بعض قطع الأراضي للاستثمار فيها وكذلك العمل على إنشاء تجمعات سكنية خاصة بالمستوطنين السويسرية في ناحية سطيف . وما يؤكد طرحنا هذا هو إقدام السلطات الفرنسية - وحتى لا تتحمل كل مصاريف المستوطنين السويسريين- على إقرار قانون يتمثل في عدم قبول أي سويسري إلا إذا كان يملك على الأقل مبلغ 3000 آلاف فرنك فرنسي يتم ارجاعه له على مراحل .[5]

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

2- نماذج عن العائلات السويسرية التي دخلت الجزائر ابتداء من سنة 1830:

لم يكن السويسريون المتواجدون في الجزائر من المعوزين فقط، بل شهدت الجزائر بعد احتلالها من طرف الفرنسيين توافد عدد لا بأس به من ميسوري الحال ،وتؤكد هذا الوثيقة الأرشيفية السالفة الذكر، فمن بين هؤلاء المستوطنين هناك عائلات غنية ومعروفة كبيرة في جنيف مثل الدكتور Paul Elysée Lullin، من كبار الملاك وأحد أعضاء مجلس الدولة السابقين الذي أسس مع أحد أصدقائه شركة Lullin et Sautter، كما نجد أيضا François Auguste Sautter وهو أحد الشخصيات المرموقة عمل قنصلا في مدينة تسكانيا، ومن بين الشخصيات كذلك Jacques Marie Jean Mirabaud وهو موظف سابق في أحد البنوك في سويسرا، كما استوطن في الجزائر السيد Jean Antoine Fazy-Alléon وهو رئيس بلدية ومستشار مدينة جونيف سابقا ،ومن بين الشخصيات السويسرية التي استوطنت الجزائر وسجّلت اسمها في التاريخ السيد Jean-Henry Dunan صاحب جائزة نوبل للسلام سنة 1901 بفضل مساهمته في تأسيس الصليب الأحمر، ابن مدينة جنيف والذي دخل الجزائر في سن ال25 واستقر بسطيف، هذا إذن نموذج لبعض الشخصيات السويسرية المرموقة التي لعبت دورا كبيرا في جلب السويسريين إلى الجزائر وبناء مستوطنة سويسرية خلال فترة الاحتلال .[6]

إن هذا الكم والنوع للجالية السويسرية في الجزائر المحتلة جعل سلطات بلادهم تبدي اهتماما خاصا بظروف إقامتهم وتبرز لنا إحدى الوثائق الأرشيفية الصادرة بتاريخ 19 جانفي 1952 [7] هذا الاهتمام بتأكيد السلطات السويسرية على ضرورة توفير وسائل الراحة لمواطنيها، حيث قام القنصل الأمريكي وهو في نفس

الوقت القائم بأعمال القنصل السويسري في الجزائر للسلطات السويسرية بشرح من خلالها الظروف التي يتم فيها استقبال المهاجرين مؤكدا على استقبالهم في ظروف جيدة، ومن ثمة يتم توجيههم مباشرة إلى مصحات استشفائية ،كما تتكفل الدولة بنفقتهم وإرسالهم إلى مكاتب خاصة باستقبال المهاجرين من أجل إدماجهم في المستوطنات وأماكن العمل، وهذا ما حصل لحوالي 294 سويسري تم اسكانهم في مستوطنة حمر العين بالقرب من تيبازة – والتي حسب الوثيقة – نالوا فيها كل ظروف الراحة من نقل وإيواء وإطعام وحتى دعم مالي ،كما يضيف كاتب التقرير أن هذه المدينة تحت إدارة عسكري من أصل سويسري اسمه **النقيب بلان** لكن في المقابل هناك عراقيل أدت لعدم اندماج العائلات السويسرية وتقديم مردود جيد في الحياة اليومية مثل اصطحاب عدد كبير من الرضع وكذلك بعض الأشخاص لا يكتسبون البنية الجسدية الملائمة التي تساعدهم في العيش في بلد وظروف مثل الجزائر، هذه الظروف جعلت العديد منهم لا يتأقلم مع المحيط، فمن أصل 294 لم يتم الاحتفاظ إلا ب حوالي 97، وتم إعادة 133 سويسري لبلدهم، كما تم تسجيل وفاة حوالي 11 رجل ،7 نساء و46 طفل .[8]

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

3- شروط الهجرة إلى الجزائر ورد فعل السلطات السويسرية:

هذه الظروف جعلت الحكومة الفرنسية تعيد النظر في قانون الهجرة إلى الجزائر حتى لا تتحمل عبئ المهاجرين خاصة ذوي الدخل الضعيف أو العائلات المعوزة التي كانت ترى في الجزائر جنة للعيش وفرصة لابد من الاستثمار فيها، حيث تشير الوثيقة الصادرة بتاريخ 28 ديسمبر 1853 [9]التي وجهها المجلس الفيدرالي لسكان المقاطعات ،إلى الشروط الجديدة التي وضعتها السلطات الفرنسية لقبول طلب الهجرة ويمكن تلخيصها في أن أي طلب لامتلاك الأراضي لابد ان يوثق بعقد يبين فيه الطالب الموارد المادية التي تساعد في استغلاله لهذه الأرض التي يجب أن تتناسب مع الإمكانيات المطلوبة، كما أنه على كل من يريد الهجرة بحثا عن عمل ويكون رب أسرة أن يثبت أنه يملك حسابا لا يقل عن 2000 فرنك، أما الأعزب فيطلب منه حيازة مبلغ 400 فرنك لكي يساعده على العيش في المستوطنة إلى غاية إيجاد وظيفة .لكن رغم هذه القوانين إلا أن توافد الجنسيات الأوروبية تواصل بشكل كثيف، إذ تُشير بعض المصادر إلى أن نسبة الأوروبيين من جنسيات غير فرنسية تجاوز ال50% ووصل أحيانا إلى 60%، بين سنوت 1858/1830 ويُعتبر السويسريون من بين الخمس جنسيات الأكثر تواجدا في الجزائر في هذه المرحلة[10]، هذا الأمر جعل السلطات السويسرية تسعى لفتح قنصليتين دائمتين في الجزائر للوقوف على شؤون رعاياه بدل الاكتفاء بمتابعتهم عن بعد، بعد أن كان تمثيل السويسريين يقتصر على تمثيل بالنيابة فقط وأحيانا تدار أمورهم من فرنسا، وتجسد ذلك في مطلب القنصل السويسري في فرنسا من المجلس الفدرالي السويسري - حسب الوثيقة الأرشيفية[11] الصادرة بتاريخ 14 أفريل 1855 – بضرورة التفكير جديا بفتح قنصلية في الجزائر كون هناك عددا معتبرا من المواطنين يقيمون بالجزائر ويقدم بعض الأرقام عن ذلك

حيث يؤكد أم نصالحه في فرنسا تلقت خلال الأسبوعين الفارطين فقط (بين 14/01 أفريل 1855) حوالي 26 جواز سفر من أجل دخولهم الجزائر والعدد لا يزال في ارتفاع ،حيث أن فتح قنصلية ستسهل من معاناة السويسريين وتساعدهم في حياتهم اليومية هناك، فوجود قنصلية في الجزائر سيساعد في تحقيق الكثير من المكاسب نظرا لأهمية الجزائر وبوجود مواطنين سويسريين فاعلين، ويضرب صاحب التقرير مثالا حيا على ذلك هو ما يفعله السويسريون في مدينة سطيف كنموذج ناجح في المجال الاقتصادي .

من خلال هذه المعطيات حول تواجد مجموعة كبيرة من السويسريين في الجزائر، نستشف اهتمام سلطات بلادهم بكل صغيرة وكبيرة في حياتهم اليومية في الجزائر، من خلال تتبع تحركاتهم ونقلها أولا بأول شكّلت لنا مادة دسمة تساعدنا في كتابة تاريخ هام من مراحل تاريخ الجزائر ،كما ستساعدنا في فهم مراحل تطور الموقف السويسري من الثورة التحريرية والذي سنتناوله لاحقا.

4- موقف السلطات السويسرية من مشاركة السويسريين في اللفيف الأجنبي :

لم يقتصر تواجد السويسريين في الجزائر على إقامة مستوطنات والنشاط الاقتصادي فقط، بل تعدى ذلك إلى المشاركة العسكرية من خلال انخراط عدد من السويسريين في جيش اللفيف الأجنبي (légion étrangère) الذي يُعتبر من بين أهم الفرق التي اعتمد عليها الفرنسيون في احتلالهم للجزائر، ويعود تشكيل هذا اللفيف إلى بتاريخ 09 مارس 1831 عندما أصدر الملك لويس فيليب مرسوما يقضي بإنشاء فرقة اللفيف الأجنبي تتكون أساسا من أجانب وفق شروط معينة مهمتها حماية وتوسيع الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر، كما قامت بالمشاركة في مختلف الحروب التي شنتها فرنسا ضد بروسيا وكذلك في الحربين العالميتين. وظلت الفرقة الأجنبية جزءا هاما من الجيش الفرنسي، خاصة ذلك الدور الذي لعبته في مواجهة الثورة التحريرية وقبلها في حرب الهند الصينية، وكانت الجنسيات التي شكلت هذا اللفيف في أول الأمر جُلّها

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

من البلدان الأوروبية مثل ألمانيا ،المجر، بلجيكا، سويسرا ... هذه الأخيرة وبالرغم أنها كانت قد اتخذت مبدأ سياسة الحياد في علاقتها الدولية منذ سنة 1516 بعد انهزامها في حربها ضد فرنسا في معركة مارينيون(La bataille de Marignan ,)[12]، إلا أنها كانت تمثل خامس قوة في هذا اللفيف الذي قام بدور كبير في احتلال الجزائر بعد سنة 1830 وفي مواجهة الثورة التحريرية بين 1962/1954 ، فالمتعارف عليه في القانون الدولي خاصة اتفاقيات 18 أكتوبر1907 التي وقعت في مؤتمر لاهاي الثاني أن الدولة التي تتخذ الحياد مبدئا لها فإنها ملزمة بعدم المشاركة المباشرة في أي نزاع مسلح أو مساعدة أحد الأطراف في النزاع من خلال تزويده بالرجال والسلاح[13]. وهذا ما نجده يتنافى مع ما أقدم عليه السويسريين الذين انخرطوا في الجيش الفرنسي لاحتلال الجزائر ،حيث يمكن اعتبار انتساب هؤلاء الشباب إلى الجيش السويسري - دون قيام حكومة سويسرا بردع صارم- دعما مباشرا لطرف ضد آخر خاصة وأن الاحصائيات تقول أن عدد السويسريين الذين شاركوا في صفوف اللفيف الأجنبي الفرنسي في كل من الهند الصينية والجزائر قد كان بين 7000 و8000 جندي وهو رقم كبير له تأثيره المباشر على مجريات ساحة المعركة .

فماهي العوامل التي أدت إلى انخراط السويسريين في اللفيف الأجنبي الفرنسي؟ وما موقف السلطات السويسرية مع المنتسبين لهذا اللفيف ؟وهل كان لهذا الأمر انعكاس على موقف سويسرا من الثورة بعد ذلك؟

إن قراءة متأنية في تاريخ الشعب السويسري يجده من بين الشعوب الأوروبية التي انخرطت في الجيوش الأجنبية منذ العصور الوسطى ،حيث كان هذا الشعب شعبا مرتزقا بامتياز ،إذ تذكر المصادر أنه بين سنة 1400 - 1848 قُدّر عدد المرتزقة السويسريين الذين يعملون في الجيوش الأجنبية بأكثر من مليوني

مرتزق اغلبيتهم في الجيش الفرنسي الذي كانت تربط بلاده اتفاقيات مع سويسرا في هذا الخصوص.[14]

وعلى هذا الأساس فإن اشتراك عددا من السويسريين في الحملة ضد احتلال الجزائر التي كانت تظم اكثر من 6000 مُجند أكثر من 25 % منهم من سويسرا، يُعتبر استمرارا لما بدأه أجداده في هذا المجال ،لكن رغم ذلك فإن هناك من المؤرخين من يعتبرون أن عودة التحاق هؤلاء الشباب بالجيش الفرنسي تحت مظلة اللفيف الأجنبي بعد مرسوم مارس 1831 له دوافع أخرى وأن سلطات البلاد ليس لها دخل في هذا ،حيث تذكر الوثيقة الأرشيفية المؤرخة في 6 جانفي 1951 والصادرة عن القنصلية السويسرية في الجزائر، موجّهة لوزارة الخارجية السويسرية، أن الجزائر من بين أكثر البلدان المُستعمَرة التي تستهوي السويسريين وهذا راجع للدعاية الكبيرة التي يُطلقها الجيش الفرنسي والأفلام التي أُنجِزت حول نشاط وحياة جنود اللفيف الأجنبي في الجزائر، أما بالنسبة للشباب الذي انظم للفيف الأجنبي فتؤكد وثيقة أرشيفية أخرى صادرة عن البرلمان السويسري بتاريخ 19 سبتمبر 1953، بأنهم من الفئات البائسة والمعوزة، فالظروف الاجتماعية الصعبة التي يعيشها هؤلاء الشباب هي التي دفعت بهم إلى هذا المصير، كما أن بعضا منهم من استغل هذا الوضع للفرار من أحكام قضائية صادرة ضده، إضافة إلى وجود عوامل نفسية ومشاكل عائلية أفقدت الأمل عند هؤلاء الشباب في العيش في سويسرا، فاختاروا العمل كمجندين في جيش أجنبي يُوفّر لهم بعض المال للاستمرار في العيش بفضل تلك الدعاية التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي سواء عن طريق الأفلام أو الجرائد وحتى اللوائح الاعلانية والتي تُصوّر المُجنّدين في هذا اللفيف وهم حالة مريحة وحياة رغيدة ، كما يمكن أن نضيف سببا آخرا لم تذكره هذه الوثيقة، هذا السبب يذكره أحد المجندين السويسريين وهو السيد فريتز باشمن Fritz Bachmann في حوار له مع جريدة le Temps السويسرية [15]، حيث يقول أنه بالإضافة إلى الأسباب السابقة الذكر هناك أسبابا شخصية ودواع نفسية وراء هذا الاختيار، فبعض السويسريين يعتبرون أن فرنسا مثلها مثل

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

سويسرا تُعتبر بلدهم بحكم التاريخ واللغة (بالنسبة للمناطق التي تتكلم الفرنسية) خاصة مدينة جنيف ذات الأغلبية الفرنسية ،لذلك لم يتوانوا في تلبية نداء الواجب خاصة إذا كان مُغلّف بصبغة دينية ،وهذا ما جعل بعض الشباب السويسري يلتحق بالجيش الفرنسي ويكون في مقدمة الرّكب لتحقيق حلم فرنسا الاستعمارية، ويضيف إلى هذه العوامل أن الشرطة الفرنسية قد لعبت دورا هاما في أقناع بعض الشباب بضرورة الانخراط في الجيش الفرنسي، فعملت على تتبع الأطفال والقُصّر خاصة المشردين في المدن الحدودية بين فرنسا وسويسرا (يبلغ طول هذه الحدود أكثر من 570 كلم)، وبث في نفوسهم فكرة الكسب المادي من خلال هذا اللفيف، ويضيق السيد بوشمن أن معظم الشباب كانوا يتساءلون: ماذا أعطت لنا سويسرا ؟ إنها لم تعط لنا أي شيء لذلك وجب اختيار مصيرنا بأيدينا ...هذا هو التفكير الذي انتشر بين الشباب العاطل عن العمل حيث أصبح بالنسبة إليه الانضمام إلى الجيش هو فرصة العمر من أجل تحصيل مكسب مادي معتبر ،كما يمكن أن نعتبر كذلك حب المغامرة والتوجه الجماعي للانخراط في الجيش من أسباب الانضمام، والذي شجّعهم على المضي قدما في وجهتهم هذه يضيف " لقد كانت فرنسا تضمن عدم الكشف عن هويتنا كما كانت تضمن لهم اختيار اسما مستعارا " وهذا كله من اجل عدم كشفهم في حال قررت السلطات السويسرية معاقبتهم ، كما كانت السلطات الفرنسية -و لضمان الحرية الشخصية ولمطمئنتهم أكثر - تمنع من النبش في الماضي الشخصي لأي مُجنّد أجنبي .

أما عن هذه الشخصية التي حاربت في صفوف جيش اللفيف الأجنبي في الجزائر خلال الثورة التحريرية، فإنه يقول أن حبّه للمغامرة منذ الصغر جعله يختار هذا الطريق فانتقل من سويسرا إلى مارسيليا وهو في سن ال18 من عمره

عن طريق دراجة من أجل العمل والبحث عن مصدر للمال، ففي هذه المدينة اتصل بأحد الضباط الفرنسيين الذي حوله إلى مركز للتجنيد في اللفيف الأجنبي، فالانخراط في هذا الجيش لا يتطلب شهادة أو مستوى ،كما أنه لا يفرق بين جنس ولون ودين فكل ما يطلبه هو القوة البدنية والتكلم باللغة الفرنسية، أما عن سن قبول الفرد فكان بين 17 و40 سنة .

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تأثير الثورة التحريرية على الحكومة السويسرية بسبب قضية السويسريين في اللفيف الأجنبي:

كما سبق الذكر، فإن عملية انخراط السويسريين في الجيوش الأجنبية هي عملية قديمة منذ القرون الوسطى، لكنها لم تكن تأخذ حيزا من النقاش أو ردود الأفعال سواء الرسمية أو الشعبية إلا بعد أن اتخذت سويسرا مبدأ الحياد في علاقتها الدولية وازدادت حدة خلال الحربين العالميتين لتبلغ الذروة خلال الثورة التحريرية، فكيف تعاملت سويسرا مع مشكلة مُجنّديها في الجيش الفرنسي ؟ وهل انعكس نجاح الثورة التحريرية في الضغط على السلطات السويسرية لمنع وسحب مواطنيها من الجيش الفرنسي؟

لقد اختارت سويسرا لنفسها مبدأ الحياد فهي مُلزمَة بعدم دعم أي بلد سواء بالأفراد أو بالمال، لكن اختيار بعض السويسريين الانضمام إلى اللفيف الأجنبي جعلهم في حرج وفي تناقض مع سياستهم الخارجية، لذلك سوف نجد أنها تسعى للقيام بإجراءات من أجل تبرئة ذمتها أمام المجتمع الدولي والهيئات الدولية والمنظمات غير الحكومية التي تُعتبر سويسرا حاضنة لها، ومن هذه الإجراءات أنها قامت بخطوة أولى للحد أو لنقل لمراقبة مواطنيها المقبلين على التجنيد في الجيوش الأجنبية، فأصدرت قانونا سنة 1859 يُمنع بموجبه المواطنين للانضمام لأي جيش أجنبي إلا بموافقة الحكومة الفيدرالية، ثم بتاريخ 13جوان 1927 صدر قانون آخر عن المجلس الفيدرالي يمنع نهائيا مشاركة السويسريين في الجيوش الأجنبية ،و يعاقب بالسجن كل من ثبت في حقه هذا الفعل . ولهذا نجد أن هناك أحكاما صدرت في حق بعض المنخرطين في الجيش الفرنسي يقول السيد بوشمن لكنها لم تتجاوز ال3 و4 أشهر موقوفة النفاذ، وهذا ما يؤكد لنا أن سويسرا كانت تهدف لحفظ ماء وجهها لا أكثر لأنها في الحقية

لم تكن ترى في هؤلاء الأشخاص ما يمكنه أن يضر بالبلد بل بالعكس فهي تعتبر " أنهم اختاروا المعسكر الصح، لأنهم يحاربون في الجانب الذي يجب أن يكونوا فيه وذلك لمواجهة الشيوعية "[16]،ففرنسا كانت تمثل الدولة التي تنتمي للحلف الأطلسي، فهي تُدافع نيابة عن كل بلدان الحلف الأطلسي في وجه المد الشيوعي الداعم للحركات التحررية، وكانت الجزائر بالنسبة لفرنسا ساحة صراع بين المعسكرين من خلال تحريك خيوط اللعبة من الخارج، فيذكر ج م فارو في صحيفة le figaro الصادرة بتاريخ 2 نوفمبر 1954 أن المؤامرة التي تحاك ضد فرنسا يشارك فيها إلى جانب القاهرة كذلك المعسكر الشيوعي [17]، وكانت فرنسا قبل ذلك قد خرجت منهزمة قبل الثورة التحريرية بشهور في حربها ضد الهند الصينة خلال معركة ديان بيان فو الشهيرة مارس-ماي 1954 [18]

فخلال هذه المعركة ظهرت أصوات معادية ومضادة لانخراط السويسريين في اللفيف الأجنبي، لكن كما سبق الذكر وكما جاء في الوثائق الأرشيفية أن الدعاية التي أطلقها الجيش الفرنسي والامتيازات التي قدّمها للراغبين في الانضمام كانت أقوى من الردع ومن التنديد خاصة وأن الجزائر كانت تعيش حالة هدوء وسلم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ومجازر 08 ماي 1945 أغرت بعض الشباب الأوروبي وخاصة السويسريين للعيش فيها، لكن هذا الأمن لم يلبث طويلا، فبعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 بدأ القلق يتسلل إلى النفوس خاصة العائلات السويسرية التي لها أبناء في صفوف الجيش الفرنسي فهي لم تنس بعد قتلاها في حرب الهند الصينية قبل أشهر .و يمكن أن نلمس هذا القلق في التحركات السياسية التي كانت بضغط من المجتمع المدني، فالوثائق التي بين أيدينا سواء الأرشيفية منها أو المقالات الصحفية لأكبر الصحف السويسرية في تلك المرحلة تثبين كلها مدى انزعاج السلطات والشخصيات السياسية، وحتى مختلف فئات الشعب من التوجه غير المبرر للشباب السويسري للعمل في صفوف الجيش الفرنسي في ظل حالة الحرب التي تشهدها الجزائر، حيث أنه بين الفترة 1954و 1962 نجد اكثر من 20 وثيقة أرشيفية هي في الأصل تقارير للقنصل

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

السويسري في الجزائر أو استجوابات برلمانية بخصوص انضمام سويسريين إلى الجيش الفرنسي، كما نجد العشرات من المقالات الصحفية بهذا الخصوص، ومن بين هذه الوثائق الأرشيفية اذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1- وثيقة مؤرخة في 21 ديسمبر 1954 تتناول اتصالات بين سياسيين والخارجية الفرنسية حول تسريح الجيش الفرنسي للمجندين السويسريين غير البالغين في الجيش الفرنسي.
2- وثيقة مؤرخة في 26 مارس 1955 تتضمن الوقوف في وجه الدعاية الكاذبة للفيف الأجنبي والقيام بحملة في هذا الخصوص لتوعية الشباب في المدارس وغيرها .
3- وثيقة مؤرخة في 21 سبتمبر 1955 موجهة من طرف نائب القنصل السويسري في الجزائر إلى الخارجية السويسرية حول إمكانية تقديم مساعدات للفارين من الجيش الفرنسي.

فالملاحظ أن كل الوثائق الأرشيفية التي بين أيدينا تصب في هذا الموضوع، فهي توضّح لنا سعي السلطات السويسرية قدر المستطاع لتجنيب السويسريين المستنقع الذي وقع فيه الجيش الفرنسي في الجزائر بعد اندلاع الثورة التحريرية .

فجيش التحرير الوطني كان يخوض معركة حياة أو موت، فكل شخص يُقّدِم مساعدة للجيش الفرنسي بأي شكل من الأشكال يُعتبر في العُرف العسكري وقانون الثورة عدوا يجب محاربته، ولنا في تاريخ ثورتنا أمثلة كثيرة عن ذلك طالت حتى الجزائريين ممن كانوا يتعاونون مع الفرنسيين.

لذلك نجد أن السلطات السويسرية فهمت هذا جيدا من خلال مضاعفة جهودها [19] للتقليل من الخسائر في صفوف أبنائها تحت ضغط ضربات جيش

التحرير الذي كان يُحقق الانتصارات تلو الأخرى، وكذلك تحت ضغط المجتمع السويسري الذي اتّخذ جزء كبير منه دعم الثورة التحريرية كما سنتطرق إلى ذلك لاحقا .

و أولى بوادر هذا الضغط الشعبي تجلّت خلال لإقدام مجموعة من المواطنين السويسريين بإمضاء عريضة ضد التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، ففي وثيقة أرشيفية مؤرخة في 21 سبتمبر 1955 [20] يقول السيد نائب القنصل السويسري في الجزائر أن هناك شكاوي كثيرة من المواطنين السويسريين وأهالي المجندين بخصوص سوء معالمة أبنائهم، هذه المعاملة جعلت البعض منهم يفر من الجيش الفرنسي، لذلك وجب التكفل بهم من أجل إعادتهم لحياتهم الطبيعية.

وهناك بعض المواطنين يرون في انضمام أبنائهم إلى جيش أجنبي إضعافا للقدرة العسكرية للبلاد. فهذه المطالب لم تتوقف طيلة مسيرة الثورة بل كانت تزداد حِدّة مع مرور الوقت وانتصار جبهة التحرير الوطني ،فهذه جريدة la Gazette de Lausanne في عددها رقم 69 الصادر بتاريخ 24 مارس 1959 تنقل لنا حادثة حول كيفية ضغط المجتمع المدني السويسري على قيادته، حيث قاموا بتشكيل لجنة ضد اللفيف الأجنبي ورفع عريضة من أجل منع عرض فيلم **"مسيرة المجد"** الذي اعتبروه يقوم بدعاية مجانية لتنجيد الشباب السويسري، خاصة وأنه تزامن مع خبر إقدام أحد الجنود السويسريين في الجزائر على قتل طفلة تبلغ من العمر 10 سنوات[21]. هذه الشكوى وهذه المطالب تم رفعها للسفير الفرنسي في سويسرا الذي اعتبر أن كل هذه المعلومات لا أساس لها من الصحة وأن الشعب السويسري وقع تحت ضغط وتضليل دعاية بفضل نشاط أعضاء جبهة التحرير في سويسرا، لكن هذا الأمر لم يكن ليُقنع السلطات السويسرية لأنها كانت تعلم بالوقائع وبالأعمال الوحشية التي يقوم بها الفرنسيون جيدا، فقضية الطفلة كانت هناك إشارة إليها في وثائق الخارجية السويسرية في وقتها باعتبارها عملا من الأعمال الإجرامية ، حيث وجدنا في أرشيف الدبلوماسية السويسرية وثيقة مؤرخة في 19 جوان 1959 تتحدث عن العنف الذي يرتكبه الجيش الفرنسي،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ونشاط اللفيف الأجنبي خاصة السويسريين، وركزت الوثيقة على قتل طفلة في ال10 من عمرها من طرف احد السويسريين .[22]

نفس الشيء نجده في وثيقة أرشيفية مماثلة بتاريخ 21 سبتمبر 1955 حول نشاط الثورة والمعارك التي تدور في الجزائر وأن الأمر ليس كما يصفه السفير الفرنسي في بيرن بأنها مجرد دعاية مُضلّلة لجهة التحرير، ففي هذه الوثيقة يقول صاحبها وهو نائب القنصل السويسري في الجزائر بأن " في الجزائر خاصة في الأوراس ومنطقة القبائل هناك معارك ضارية، عدد القتلى والجرحى في صفوف اللفيف الأجنبي كثير ،فمن المحتمل أن نرى عددا كبيرا من هؤلاء الموتى من السويسريين باللباس العسكري الفرنسي ،لذلك من الأفضل لهم أن يفروا بجلودهم ...."، وفعلا تشير إحدى وثائق الأرشيف صادرة بتاريخ5 فيفري 1957، عبارة عن تقرير حول انخراط السويسريين في اللفيف الأجنبي ان عدد المجندين في اللفيف الأجنبي من السويسريين في تناقص مقارنة بالسنوات السابقة .[23]

لقد أصبح الضغط يزداد بالنظر لهذه الأخبار السيئة القادمة من الجزائر، فلم يكن أمام سلطات سويسرا سوى العمل من أجل إيجاد حل لهذه المشكلة، فانتقل هذا الضغط من الشارع ،إلى الصحافة فإلى المجلس الفيدرالي (البرلمان) حيث جاء في الرد على استجواب أحد الاعضاء وهو السيد الذي كان يشغل عضو لجنة التجارة الخارجية في المجلس الفيدرالي السويسري طلب فيه سحب المجندين السويسريين من الجيش الفرنسي، أن سويسرا لم تتوقف على العمل من أجل تحقيق هذا المطلب لكن هناك إشكالات قانونية فهناك ثلاثة أنواع من المجندين، النوع الأول هم المجندون البالغون فلا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاء عقودهم لأن القانون السويسري والقوانين الدولية تحترم قرار أي شخص بالغ، النوع الثاني هم المجندون بين 18 و20 سنة وهذا النوع يختلف فيه

القانون السويسري والقانون الفرنسي بحيث يعتبر القانون السويسري أن البالغ هو من بلغ 20 سنة بينما القانون الفرنسي البالغ هو من بلغ 18 سنة وبالتالي هذا النوع سوف يأخذ طرق قضائية، يبقى فقط العمل على محاولة إرجاع النوع الثالث وهم القُصّر البالغين أقل من 18 سنة لأن الجيش الفرنسي كان يجند بين 17 و40 سنة الذين ثبت انتسابهم وهذا ممكن .

تجدر الإشارة هنا إلى أنه ليست سويسرا من طالبت بإرجاع شبابها المجند بل ألمانيا وبلجيكا كذلك قامتا بنفس التصرف جرّاء ضربات جيش التحرير ونجاح دبلوماسية الثورة في إقناع العالم بعدالة القضية الجزائرية، نجد أنه في بلجيكا تأسست رابطة ضد اللفيف الأجنبي تقوم على فضح ممارساته وتبيان حقيقة وظروف عيش المجندين في الجزائر، كما قامت الدبلوماسية البلجيكية بتحركات من هذا القبيل عندما طرح وزير الشؤون الخارجية البلجيكي القضية على نظيره الفرنسي سنة 1959، وهو نفس الشيء الذي حدث في ألمانيا حيث قام مقرر لجنة الشؤون الخارجية الألماني بتقديم تقرير حول وضعية المجندين الألمان في الجيش الفرنسي، تجدر الإشارة إلى أن الألمان كانوا يمثلون القوة الأولى في صفوف المجندين في اللفيف الأجنبي الفرنسي بحوالي 15 ألف مجند منهم 1500 قاصر[24].

هذه المواقف زادت من عزيمة السويسريين في المضي قُدما لتحقيق مطالب المجتمع السويسري، ورغم أن الأمر ليس بالسهل إلا أن سلطات سويسرا حاولت استغلال كل الطرق لتحقيق مطالبها، وقد رأينا سابقا كيف كانت تسعى لمساعدة الفارين من الجيش الفرنسي بطرق سرية حتى لا تخسر حليفتها فرنسا .

لم تكن سويسرا في وضعية قوية يقول رئيس المجلس الفدرالي[25] بل إن وضعيتها ضعيفة مقارنة بالوقائع والقوانين، ولا يمكن أن يتحقق هذا المطلب إلا باتباع الحل الدبلوماسي لذلك لجأت سويسرا إلى تكثيف اتصالاتها بوزارة الخارجية لطرح الأمر على مستواها ،ونظرا لأهمية الموضوع والأصوات المنادية بإرجاع شباب سويسرا إلى بلاده وإخراجه من مأزق الحرب فقد وصل الأمر إلى طلب لقاء مع الجنرال ديغول مباشرة بعد وصوله إلى الحكم بعد قيام الجمهورية

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الخامسة سنة 1958، ففي وثيقة أرشيفية مؤرخة 24 أكتوبر 1958 موجهة من طرف السفير السويسري في باريس إلى سلطات بلاده يقول فيها أنه طرح على الجنرال ديغول قضية المجندين السويسريين في الجيش الفرنسي وبعد تقرير مفصل على نشاطهم وظروفهم خاصة القصر منهم، وعد ديغول بأنه سينظر في الأمر.

إن هذا الفعل يؤكد التوجه الجاد للسويسريين لغلق ملف المجندين والسبب هو تأثير وانعكاس الثورة على مسيرة هؤلاء المجندين لأنهم قبل الثورة لم يكن المشكل مطروح بهذه الحدة ويمكن أن نرى ذلك بوضوح من خلال الوثائق الأرشيفية التي كانت بين 1920 و1954 حيث على قلتها لم تكن تطرح هذا الأمر بنفس الحدة والرغبة .

الهوامش:

[1]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، V. ÉMIGRATION 1945/1848

[2]- للمزيد أكثر حول العائلات السويسرية التي استوطنت الجزائر يرجى الإطلاع على كتاب:
Claude Lützelschwab , La Compagnie genevoise des colonies suisses de Sétif 1853/1956 ed Peter Lang Bern 2006،

[33]- أنظر الحوار الذي أجراه الصحفيان Sid Ahmed Hammouch et Pascal Flery مع الكاتب Damien Carron صاحب كتاب La Suisse et la guerre d'indépendance algérienne خلال أعمال ندوة تاريخية نظمتها جامعة فرايبورغ السويسرية بمناسبة الذكرة ال50 لاتفاقيات إيفيان، وصدر الحوار في جريدة Libertéبتاريخ 15 مارس 2013

[4]- نايف وليام ماتياس (1881/1802) رئيس المجلس الفدرالي السويسري بين 1878/1853

[5]- قامت أكثر من 7 عائلات برجوازية سويسرية بالاستفادة من القرار الذي أصدره الامبراطور نابليون الثالث بتاريخ 26 أفريل 1853 والقاضي بمنح اكثر من 20 ألف هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة في منطقة سطيف وأنشأت مستوطنة خاصة بالسويسريين : Claude Lützelschwab , La Compagnie genevoise des colonies suisses de Sétif,p35/36

[6]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، V. ÉMIGRATION 1945/1848-doc. 160

[7]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، V. ÉMIGRATION 1945/1848 رقم C.326.02.01

[8]- تذكر المصادر التاريخية أن بعض الأمراض الخطيرة والمعدية تفشت في الجزائر ابتداء من شهر جويلية 1854 على غرار الكوليرا حيث تم إحصاء أكثر من 100 وفاة في صفوف السويسريين في الفترة بين 24 نوفمبر 1953 و31 ديسمبر 1854 ،مقال تم نشره في مجلة Observateur السويسرية بتاريخ 16 مارس2012

[9]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، V. ÉMIGRATION 1848/1945 Vرقم D.425.03

[10] - la Gazette de Lausanne ,n168,18 juil. 1865

[11]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، V. ÉMIGRATION 1945/1848 رقم -C.321.07.24

[12]- حدثت هذه المعركة بين 13 – 15 سبتمبر 1515 بالقرب من بلدة مارينيانو والتي تُعرف اليوم بميلينيانو جنوب شرق ميلانو، والتي انتصرت فيها فرنسا وحلفاؤها جمهورية البندقية على السويسريين. خسر خلالها السويسريون عددًا كبيرًا من القتلى. وبعد الهزيمة تخلّت الحكومة الاتحادية السويسرية عن سياساتها التوسعية، وحاولت البحث عن سبل تجنب الصراع مستقبلًا من أجل الحفاظ على الذات.بعد عام على المعركة، تم توقيع معاهدة سلام بين ملك فرنسا فرانسيس الأول والحكومة السويسرية الفيدرالية، والتي أصبحت تُعرف بـ "السلام الدائم". حول هذا الموضوع يرجى

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الاطلاع على : Emilie Toussaint, La bataille de Marignan: Le jeune François Ier et la pénible conquête de Milan, Batailles, ed 50 Minutes, 2013

[13]-فهمي جدعان، حصاد القرن ،مؤسسة عبد الحميد شومان، الأردن 2007، ص 259

[14]- موقع سويس أنفو: https://www.swissinfo.ch/ara

[15] -le Temps,18 mars 2017

[16] - le Temps,18 mars 2017

[17]-محمد حربي ،الثورة الجزائرية (سنوات المخاض)، تر نجيب عياد وصالح المثلوثي، سلسلة صاد،1994،ص23

[18]- تعتبر معركة ديان بيان فو التي وقعت عام1954 من اهم المعارك العسكرية في القرن الـ20 نتيجة لما ادت اليه من نتائج ،13 جرت احداثها في مارس عام1954 1953، بعد أن قامت فرنسا ببناء قاعدة للجيش حول قرية ديان بيان فو وكان الغرض من هذه القاعدة هو تعطيل حركة الجيش الڤتنامي. ،ففي هذا التاريخ شنَّ حوالي 50,000 جندي ڤتنامي هجومًا على قوات فرنسية يزيد قوامها على 10,000 جندي في القاعدة، ودمروا سريعًا مطار القاعدة تاركين الفرنسيين بدون مؤن كافية. وقاوم الفرنسيون، على الرغم من قلة عددهم، استمرت المعركة طيلة 56 يومًا، انتهت باستسلام الجيش الفرنسي في 7مايو1954 ، للمزيد حول هذه المعركة انظر كتاب :

Pierre Journoud, **1954-2004:** la bataille de Dien Bien Phu entre histoire et mémoire, Société française d'histoire d'outre-mer 2004

[19]- تذكر إحدى الوثائق الأرشيفية انه بين سنة 1953/1949 تم إحصاء حوالي 281 مجند في صفوف اللفيف الأجنبي، حيث وبعد جهود معتبرة تم إعادة 20 منهم لذويهم باعتبارهم قصّر، وحوالي 08 حالات أخرى عن طريق اقناعهم . وثائق الأرشيف الفرنسي وثيقة مؤرخة في 19 سبتمبر 1953 / **dodis.ch/10697**

[20]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري: وثيقة بعنوان استفسار بخصوص معاملة المجندين السويسريين الفارين، dodis.ch/11517

[21] -la Gazette de Lausanne ,N "69 ,le 24 mars 1959

[22]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، وثيقة مؤرخة في 19 جوان 1959 بعنوان: ملخص لحالة التجنيد السويسري منذ1953، والعنف المرتكب من طرف الجيش الفرنسي، dodis.ch/10698

[23]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، وثيقة مؤرخة 5 فيفري 1957 تحت عنوان: تقرير عن تسجيل المواطنين السويسريين في الفيلق الأجنبي dodis.ch/12454

[24]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، وثيقة مؤرخة وثيقة مؤرخة في 19 جوان 1959 بعنوان: ملخص لحالة التجنيد السويسري منذ1953، والعنف المرتكب من طرف الجيش الفرنسي، dodis.ch/10698

[25]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، وثيقة مؤرخة وثيقة مؤرخة في 19 جوان 1959 بعنوان: ملخص لحالة التجنيد السويسري منذ1953، والعنف المرتكب من طرف الجيش الفرنسي، dodis.ch/10698